مشروع الفرش

دلالته على مبدأ التضامن القومي

للدكتور محمد حسين هيكل بك

أذاعت جماعة مشروع الفرش في العام الماضي أكثر من نشرة كتب فيها كبار الكتاب وذوي الرأي حتى لقد أصبح الانسان يشعر حين يفكر في كتابة شيء جديد للمشروع وأصحابه بشيء من المشقة غير قليل . ذلك شأني على الأقل لأنني لا أريد أن أتناول موضوعا الا أن يكون له مساس أو اتصال بالفرش ومشروعه . وقد طلبت الي جماعة الفرش منذ اعتزمت اصدار هذا العدد من «الرسالة» أن أكتب ففكرت وفكرت وفكرت حتى انتهيت أخيرا الى ما أكتب اليوم عن دلالة هذا المشروع من ناحية الاتجاه الاقتصادي وتأييده لمبدأ التضامن الاقتصادي Solidarité على غيره من المبادىء وتأييده لهذا المبدأ في حدود الاقتصاد القومي اكثر من تأييده اياه في المدى الواسع الذي يعتبر العالم كله وحدة اقتصادية يجب أن تسمها روح التضامن من غير تقيد بالتفكير القومي ومن غير خضوع للمبادىء الاشتراكية المتطرفة .

أنا لا أظن أن الذين بدأوا التفكير في مشروع الفرش بدأوه متأثرين بهذا المبدأ الاقتصادي أو ذاك . بل أغلب الظن أنهم بدأوه متأثرين بخضوع مصر الاقتصادي لغيرها من الأمم خضوعا تستطيع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وأصبح مترهل العضل ، منمرق القوى ، يظنه من رآه أنه بلغ أرذل العمر ، ولداته في روعة الشباب وميعة النشاط .

يلفني مرضه ، فلم أدركه الا جنازة فشيعته الى أن أنزل حفرته وأجن في رمسه وغضضت من ترابه الأيدي !

وعدت موجع القلب باكيا ، ضيق الصدر ، مكروب النفس ، أخذني من الحزن عليه ماتنقض منه الجوانح ، وتشق له المرائر ، فطفت أن حبي له كان أعمق من كرهي اياه ، وأن تقمق عليه لم تكن الا مظهراً من عطفي عليه ، وأن كنت أقسو عليه رحمة به !

رحمة الله عليه فقد حطم بعضه بعضا ، ومضى قتيل روحه شهيد نفسه !

بشيء من الثائرة أن تتخلص من نيره . وادن فهي فكرة الاستقلال الاقتصادي تدفع اليها عاطفة وطنية كالعاطفة التي دفعت الى النهضة في سبيل الاقتصاد السياسي هي التي حركت في نفوس السابقين الى فكرة مشروع الفرش الدعوة الى مشروعهم وابرازه من حيز الفكرة الى حيز العمل . لكن ذلك لا يغير شيئا من دلالة المشروع على نحو ما قدمنا بل هو يزيده تأييداً . فلو أن فكرة الاستقلال الاقتصادي وحدها هي التي كانت الدافع والمحرك ولم تخالطها فكرة التضامن القومي لرأينا الدعوة الى هذا الاستقلال تلبس ثوبا آخر وتظهر في صورة أخرى . ومن قبل دعا الداعون الى تأليف شركة لانشاء بنك مصر عنيقا لفكرة الاستقلال الاقتصادي وبحثت الدعوة بجاحها الباهر ومن قبل فكر بنك مصر وألف الشركات المختلفة التي يساهم فيها ويشرف عليها وكان لها من التوفيق الحظ الاكبر . وفي هذه الظروف جميعا كانت فكرة الاستقلال الاقتصادي هي الحافز الأول ، وكانت العاطفة الوطنية التي تطمح الى هذا الاستقلال طموحا صادقا هي اكبر عون على الاكتتاب ثم على النجاح .

وكان ممكنا انشاء مصنع للطرابيش على الطريقة التي أنشئت بها شركة غزل ونسج القطن ، وشركة مصايد الاسماك ، وكان ممكناً انشاء مصنع للاصواف بالطريقة ذاتها . لكن مشروع الفرش تأثر بالفكرة التي قدمنا فوجهته في سبيل الاستقلال الاقتصادي وجهة جديدة ! وجهة تضامن عام في حدود الاقتصاد القومي لا يطمعها الطابع الفردي الذي يطبع الشركات المختلفة التي تصبو أولا وبالذات الى الربح ، بل يطبعها طابع الايثار من جامعي القرش ومؤلفيه ومنظمي استثمار الايثار الذي يجعل المرء يحب لغيره مايحب لنفسه ويعمل لخير غيره بمقدار مايعمل لخير نفسه . وان كان ايثارا محدودا بالحدود القومية . ولهذا الايثار القومي عذره وفضله . له عذره لأنه رد فعل طبيعي لثائرة الغرب وحرصه في أن يستأثر بخيرات العالم كله واوزانه تاركا للشرق ما يكفي لاقامة حياته كي يجد ويشتغل أجيرا لحساب الغرب الذي يؤيد أثرته هذه بالدفع والقواصة والطيارة وله فضله في أنه انهاض قومي لمصر كي تشعر بما تقدر عليه من غير كبير مشقة أو تضحية . وانهاض يقوم به شبابها فتيات وشبانا لخير الوطن غير ناظرين جزاء الا أنهم أدوا للوطن خدمة شعروا بأن أداءها واجب عليهم .

والشعور بالتضامن الاقتصادي على الوجه الذي يلقن شباب القرش على الناس درسه مقدمة لحيوية قوية تربط الامة بروابط التضامن

الأكيدة فيما سوى الميدان الاقتصادي من مرافق حياتها . فالرجل الذي يدفع القرش ويلبس طربوشاً مصرياً بثمن معتدل يشعر بانه يؤدي خدمة وطنية تعود عليه هو في الوقت نفسه بفائدة كريمة . وهذه احدى فضائل التضامن في كل شيء . وهذا الشعور يجعل كل مصري يقدر أن كل خدمة يؤديها الانسان لوطنه وكل قرش يدفعه له يعود عليه وعلى أمثاله بفائدة مضاعفة لما دفع . فكما أن قرشك الذي دفعته في العام الماضي سيجعلك تلبس الطربوش تدفع ثمنه خمسة عشر قرشا بدلا من خمسين كذلك يجب أن تسأل عن كل قرش تدفعه عادا يعود عليك أو على الوطن من نفعه ؟ فاذا لم يعد بمثل هذه الفائدة المضاعفة فما لم أن الذين ائتمنوا عليه يبتالونه وأنهم لذلك غير أمناء ، وأنهم لا يقدرون معنى التضامن القومي وواجبهم ازاءه بل يقدرون فائدتهم الشخصية ناسين فائدة مواطنيهم ، ناسين بذلك فائدة الوطن ، مضحين بمصالحه في سبيل منافعهم الذاتية ، وفي سبيل وصولهم السريع الى الثروة على حساب غيرهم .

اذا صدقت رسالة مشروع القرش التي نلمسها وكانت بشيراً بتقدير المصريين لمبدأ التضامن ولوفق الحدود القومية فقد آن للمصريين أن يستبشروا حقا بمستقبل قريب تتطور فيه النظرة الى الحياة من مختلف نواحيها تطوراً محسوساً . فنظرية التضامن لا تقف عند الميدان الاقتصادي سبيل تمتد به الى ميادين النشاط جميعا ، وفي مقدمتها ميدان الانتاج الفكري والفني . ونظرية التضامن لا يحدها زمن ، بل هي تقوم على أساس أن الثروة المادية والثروة المعنوية لأمة من الامم هما جميعا ثمرة مجهود الاجيال المتعاقبة ، وأن لاهل القبور فيها نصيباً أكثرها لاهل الدور ، وأننا جميعا وحدة متماسكة في السعي والعمل بدأت من أول الزمن ان كان للزمن أول وتستمر على الزمن ما بقي الزمن . فاذا وقر الشعور بهذا الرأي في النفوس كان من آثاره أن يحس كل بانه مدين للمجموع اكثر مما هو دائن له ، وان تضامنه مع المجموع في المجهود العائد على المجموع وعليه بالفائدة من خضوعه لسلطان الانانية الغرور . وهنالك يشعر حقا بان واجباً عليه أن يبني لا أن يهدم ، وأن يكون منتجا اكثر منه مستهلكا ؟ وأن يعمل لخير غيره عمله لخير نفسه . وهنالك تزول البغضاء من النفوس فتحل محلها المحبة وتلاشى فكرة التنافس لتقوم مقامها فكرة التعاون ويقضى في النفوس على شهوات الحقد والغيرة والغرور الكاذب لتقوم مقامها فضائل العطف والحنو والتواضع الجميل . وأنت قدير متى صورت هذا التطور كله لنفسك أن تصور الشجاعة الجديدة التي تثمر وادينا الخصب الجميل وأن تقدر سعة الخطوات التي تخطو في سبيل الحق والخير والسعادة .

لعل شبان القرش وفتياته يوافقوني على أن هذه النوازع النفسية الجميلة تجول بخواطرهم مبهمة عند البعض اقل ابهاما عند الآخرين ولعلهم اذا خلوا الى أنفسهم وفكروا في الامر يرون أنهم لم يفتحوا عهد مصنع الطرابيش أو مصنع الصوف وكفى ، وانما هم يفتحون

مجمع اللغة العربية الملكي

بقلم أنور كبير

في مجلة باريس التي ظهرت أول يناير فصل قيم ، دقيق مستفيض عن المجمع العلمي المصري ، الذي أنشأه بونابرت في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ . تقرأه فيعجبك لفظه العذب وأسلوبه المتين ، ودقة صاحبه في البحث وعنايته بالتفصيلات ، وعنايته قبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء بتمجيد فرنسا وبونابرت ، وما كان لهما من أثر بعيد في احياء مصر الحديثة ، وتمهيد السبيل أمامها الى الرقي المادي ، والمعنوي جميعاً .

وربما أحسست — وأنت تقرأ هذا المقال — شيئاً من الحزن الخفي يمازج هذا الفخر الظاهر ، الذي يملأ نفس «السيوف . شارل لبرو» كاتب هذا الفصل . لأن هذا الجهد الضئيل الخصب العجز ، الذي أنفقه الفرنسيون أثناء اقامتهم القصيرة بمصر في أواخر القرن الثامن عشر لم يؤت الثمر الذي كان ينتظره بونابرت وأصحابه ، والذي كان الفرنسيون يودون أن يكون شيئاً غير الفخر والذكرى .

ولعلك تعلم أن هذا المجمع العلمي المصري الذي أنشيء في القاهرة منذ قرن وثلث قرن ، على نظام المجمع الفرنسي ، وسعى الى نفس الاغراض العلمية والادبية التي كان يسعى لها هذا المجمع وسعى بعد ذلك الى أغراض عملية كانت تحتاج اليها سياسة الفاتحين وادارتهم . لعلك تعلم أن هذا المجمع لا يزال قائماً الى الآن أعيد تنظيمه سنة ١٨٥٩ وهو الآن يعمل كما كان يعمل آخر القرن الثامن عشر يبحث أعضاؤه عن الرياضة والطبيعة والطب والعلوم الاقتصادية والسياسية والفنون والآداب ، ويبحث الآن كما كان يبحث من قبل عن حلول عملية لبعض

السبيل الى طور جديد يريدون أن يطبعوا به حياة وطنهم . ولعلهم يقدرون عظمة هذا التطور الجديد وعظمة ما يجب على الشباب من مجهود تنهض بعدته أجيال الشباب المتعاقبة لتزيده قوة وانماراً . ثم لعلهم يحسون أن في الحياة قرشا غير القرش المادي الذي أدفعه من جيبي . فيها القرش المعنوي والقرش الروحي الذي يعاون على ذكاء معنى التضامن الروحي في النفوس بمقدار ما يعاون القرش المادي على تحقيق معنى التضامن الوطني في الحياة الاقتصادية . هذا القرش المعنوي ، وهذا القرش الروحي ، الذي يستطيع كل مصري أن يؤديه استطاعته اداء القرش المادي — في أي ناحية يجب أن ينفق وأي مصنع يجب أن يقام كأثر من آثاره ؟ هذا ما أترك للشباب البحث فيه وبقيني أنهم مهتدون الى خير ما يثمر البحث في هذه الناحية كما اهتدوا الى خير ما أثمر البحث في ناحية القرش . وهم أقدر على تصوير التضامن المعنوي والتضامن الروحي وما يثمران !..